الفصل الثاني

منهج الإسلام فى بناء المجتمع النظيف

- الجنس في التصور الإسلامي .
- منهج الإســـــلام في تجفـيف منابع الفتن .
- حرمة العرض .
- فتنة النظر .
- فتنة الخلوة بالأجنبية .
- فتنة الجوار .
- فتنة سفر المرأة وحدها .
- فتنة القرابة .
- فتنة اللمس .
- فتنة التبرج .
- فتنة الاختلاط .

obeikandl.com

obeikandl.com

الجنس في التصور الإسلامي

ليس ديناً مجنحاً فى آفاق عالم الخيال .. ولكنه الدين القيم .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..

والله الذي خلق الإنسان وركّبَ فيه الغرائز والعواطف ، لم يكن ليتركه هملا ليحقق إشباعها على طريقة الحيوان ..

وكيف ذلك ؟ وهو الذى يقول : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١)

﴿ وكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقدَارٍ ﴾(٢)

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾(٣)

﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾(٤)

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾(٥)

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾(٦)

هذه الدقة الحكيمة فى الصنع ، وهذا التوازن الحساس فى المخلوقات ، ينسحب على الإنسان كما ينسحب على جميع المخلوقات ، وكيف لا ؟ والكون كله سماؤه وأرضه مُسَخَّر لهذا الانسان ليحقق خلافة الله فى هذه الأرض ..

فالإنسان صنعة اللّه .. كوّنه قبضة من الطين ونفخة من الروح ، وسرى عليه هذا التوازن الدقيق ، فأعطى لجانب الجسد المجال الذى يتحقق إشباعه فيه ، وأعطى لجانب الروح المجال الذى تحقق انطلاقها فيه ..

---

(١) القمر ٤٩.　(٢) الرعد : ٨.　(٣) الفرقان : ٢.

(٤) طه : ٥٠.　(٥) الحجر : ١٩ .　(٦) الحجر : ٢١.

وأي خلل في هذا التوازن يُفسد صنعة الله ويصيبها بالآفات الجسمية والروحيه ، وبذلك تكون قد حكمت على نفسها بالفناء ..

ومن أقوى الغرائز التي ركبَّها الله في جسد الإنسان غريزة الجنس ، وقد جعلها الله هكذا لأهداف سامية وحقائق عالية تستهدف عمارة الكون وعبادة الخالق .

﴿ يَاأَيُّهَا النَاسُ اتَقُوا رَبَّكُمُ الذِّي خَلَقَكُمْ من نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ منْهُمَا رجالاً كَثيراً وَنساءً ، وَاتَّقُوا اللَّه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَام ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيباً ﴾[1] .

والجنس هو نقطة الضعف التي يمكن للشيطان أن يتسلل من خلالها ليخرب الكون ، ويقلب نظام الحياة رأساً على عقب ، ويعطل رسالة الإنسان في الحياة.. يقول الله عز وجل :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الشَّهَوَات أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[2]

قَال سفيان الثوري تعليقاً على ضعف الإنسان الوارد في الآية : « المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ولا ينتفع بها ،فأي شئ أضعف من هذا » ؟.

وقال ﷺ :« ماتركت بعدي فتنة هى أضر على الرجال من النساء »[3] .

وقال : «اتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء»[4] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه :أن النبي ﷺ قال : «إن المرأة تقبل فى صورة شيطان ، وتدبر فى صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله ، فإن ذلك يرد ما في نفسه »[5] .

---

(١) النساء : ١ (٢) النساء : ٢٧، ٢٨ (٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

ولما كان لغريزة الجنس هذا السلطان الطاغي على النفس البشرية ، فإننا نجد أن الإسلام وضع لها الضوابط ، وقَنَّنَ لها القوانين ، وعَبَّدَ لها الطريق ، وأقام عليه الإشارات التي تضبط حركتها في الحياة حتى لا تصطدم بسنة الله في الخلق ، وبدون الالتزام بهذا التنظيم .. فانظر ماذا يحدث لسائق مجنون لايُلقى بالاً للإشارات حمراء أو صفراء ؟

يقول « جميس رستون » مشيراً إلى خطورة هذه الغريزة : «إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية » .

* * *

والآن نسوق إليك معالم عن موقع هذه الغريزة فى التصور الإسلامى :

● حارب الإسلام الرهبانية التي تجعل الإنسان متفرغاً للعبادة ، عازفاً عن الدنيا ، منقطعاً عن إشباع عواطفه وغرائزه .. فاللّه عز وجل الذي ركَّبَ الإنسان وَسَّواه طيناً وروحاً كَرِهَ هذه الرهبانية التى تعطل عمارة الكون ، وتُؤدي الى اختلال وظائف الجسم ، وإلى ظهور الكبت والعقد النفسية التي قد تنفجر فتهوى بالانسان إلى أسفل سافلين من حيث أمل الارتقاء إلى الملأ الأعلىَ - كما رأينا فيما مضى ..

وقد نعى اللّه على الذين ابتدعوا الرهبانية فلا هم تركوها ، ولا هم قاموا بحقوقها .. قال تعالى :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1] .

---

(١) الحديد : ٢٧.

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها : وقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبداً .

وقال آخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر .

وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ .. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

* * *

● لم يَصِمْ الإسلام هذه الغريزة بالقذارة ولا بالدنس طالما كان اشباعها على النحو الذي رسمه الإسلام لها ، ولذلك فلا مجال عندنا للقول بالعُقَدِ النفسية المتولّدة عن استقذار العمل الجنسي الحلال .

والقائلون بهذا جديرون بالبحث عن الخَلَل النفسي ، أو الممارسات الخاطئة التي تركت فى نفوس أصحابها هذا الأثر ..

يقول الله عز وجل :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1] .

فجعل الله - عز وجل - شهوة حب النساء على قمة شهوات النفس حقيقة واقعة ، غير أن هذا الحب للنساء والبنين والذهب والفضة ومرفهات الحياة ينبغي

---

(١) آل عمران : ١٤.

ألا تملك على الإنسان نفسه ، وتستولي على عقله ، فينسى ما عند الله من نعيم لا ينفد وقُرَّةُ عين لا تنقطع ..

وقال ﷺ : « ... ولك فى جماع زوجتك أجر » قالوا: يارسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»(١) .

وقال أيضاً : « كل شئ يلهو به ابن آدم ، فهو باطل ، إلا ثلاثاً : رميه عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله .. فإنهن من الحق »(٢) .

* * *

● لم يجامل الاسلام الرجل أو المرأة فى هذا المطلب الفطري ، فجعل لكل من الزوجين الحق في الحصول على إشباع حاجاته الجسدية ، ولقد قرر ذلك بصورة لا يمكن أن ترى إلا في هذا الدين الذي أحاط بدقائق النفس البشرية وتتبعها في كل خفقة قلب ولمحة فكر ، فمن المقرر في أحكام هذه الشريعة الغراء : أنه من العيوب التي يثبت بها فسخ النكاح قيام عِلَّةٌ جسدية بالزوج أو الزوجة تمنع تحقيق الإشباع الجنسي لأحد الطرفين . وكذلك إذا حلف الزوج ألاَّ يُجامع زوجته - وهو مايُسمى في عُرْف اللغويين والفقهاء بالإيلاء - هذا الزوج يعتبره الإسلام مُضاراً لزوجته ، ومُسيئاً في استعمال حقه فى القوامة ، ومن ثَمَّ فإنه إما أن يحنث فى يمينه قبل مضي أربعة أشهر وعليه كفارة يمين ، وإلا فإن مضت هذه المدة قبل أن يعود إلى معاشرة زوجته جنسياً ، فإنه يُطالَب بالطلاق ، فإن امتنع طَلَّقَ الحاكم عليه ، ويُعتبر هذا الطلاق بائناً حتى يقطع الإسلام على هذا الزوج المضار سبل الإساءة إلى زوجته بمراجعتها والعودة إلى الإضرار بها من جديد .. قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣)

---

(١) رواه مسلم والترمذي .

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(٣) البقرة : ٢٢٦، ٢٢٧ .

يقرر الاسلام ذلك حتى يتحقق المجتمع الربانى الطاهر الذي ليس فيه نظرة متلصصة ، أو خيانة زوجية ، أو فراش مُدَّنس ، ولينصرف المجتمع المسلم إلى الإنتاج صافي النفـــس ، خفيف الروح ،لا يُنَغِّص حمل الغريزة عليه حياته ، أو يكون عقبة كؤوداً في سبيل تحقيق رسالته في الحياة ..

ويُعَبِّر رسول اللّه ﷺ عن منهج الإسلام في ذلك ، فيُلفت أنظار الأزواج إلى حقوق زوجاتهم فى هذا السبيل ، لأن المرأة هي الجانب الذي يغلب عليه الحياء في هذا المجال - وذلك قبل أن يقوم الباحثون في الغرب بعمل الإحصاءات التي تُثبت أن لهذا الجانب تأثيراً خطيراً في الحياة الزوجية ، وربما أدى إلى هدمها من الأساس .. يقول الدكتور هاملتون : « إن عدم التوافق الجنسي يجثم دائماً في قرارة كل زواج فاشل ، فان المشكلات التي تُلابس الزواج يمكن أن يُغضي عنها الزوجان لو أن التوافق الجنسي استتبَّ بينهما ».

فعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ :« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، فان سبقها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها »[1] .

وفى رواية أُخرى : « إذا جامع أحدكم أهله ، فلا يأتهن كما يأتى الطير .. ليمكث وليلبث »[2]

وهذا موقف للفاروق عمر مع امرأة عفيفة الخُلُق ، أرَّقها غياب زوجها ، وشفَّها الوَجد إليه . فتنكر على نفسها أن تفكر في رجل يأخذ مكان زوجها خوفاً من اللّه وحياءً منه ، وإكراماً لبعلها أن ينال أحد مكانته فى قلبها .. ولنمض مع سعيد بن جبير ليوري لنا هذه القصة ذات الشأن .. فيقول : كان عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه إذا أمسى أخذ دُرَّته ثم طاف بالمدينة ، فإذا رأى شيئا ينكره أنكره ..

---

(١) رواه أبو يعلى .

(٢) رواه الطوسى .

فبينما هو ذات ليلة يَعُسُ إذ مَرَّ بامرأة على سطح وهى تقول :

تطاول هذا الليل واسودَّ جانبه وأرّقنى أن لا خليلٌ ألاعبه

فوالله لولا الله لا رَبَّ غيره لحرّك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يصدُّني وأكرم بعلي أن تُنال مراتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة . فضرب باب الدار .. فقالت : من هذا الذي يأتي امرأه مُغَيَّبةً هذه الساعة ؟ فقال : افتحى ، فأبت فأكثر عليها . قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك ، فلما رأى عفافها قال : افتحى فأنا أمير المؤمنين ، قالت : كذبت، ماأنت أمير المؤمنين . فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو ، ففتحت له فقال : هيه .. كيف قلت ؟ فأعادت عليه ما قالت ، فقال : أين زوجك ؟ قالت: في بعث كذا وكذا ، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سَرِّح فلاناً ابن فلان ، فلما قَدِمَ عليه قال: اذهب إلى أهلك ، ثم دخل على حفصة ابنته فقال : أي بُنية ، كمَ تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت : سبحان الله ! مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟ فقال : لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك . قالت : شهر واثنين وثلاثة ، وفي الرابع ينفد الصبر ، فجعل ذلك أجلا للبعث ..

هذا فى جانب المرأة ، أما فى الجانب المقابل ، فإننا نرى رسول الله ﷺ يُنَبِّهُ الزوجات لحقوق أزواجهن فى هذا المجال فيقول : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته ، وإن كانت على التنور »(١)

ويقول أيضاً : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح »(٢)

وهكذا يحرص الإسلام كل الحرص على إقامة المجتمع الإسلامي النظيف من خلال ضغط هذه الغريزة ، وإيجاد المتنفس الصحي لها ، وحتى لا تنحرف يميناً

---

(١) رواه الترمذى والنسائى .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود .

أو يساراً فيكون الهلاك الشامل والدمار الكامل كما رأينا ذلك من خلال النافذة التي أطللنا منها على الغرب المنحل ..

* * *

● جعل الاسلام هذا الإشباع الجنسي يتم في إطار من الإنسانية بعيداً عن روح الحيوانية الجائعة ، وراعى فى ذلك مشاعر المرأة ،لأنها - كما قلنا - الجانب الذى يغلب عليه الحياء في هذا السبيل ، فنهى عن إتيان المرأة فى دبرها .. قال تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾[1] .

وقال ﷺ : « ملعون من أتى امرأة فى دُبُرها »[2] .

وقال أيضاً : « من أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرها ، أو كاهناً فَصدَّقه فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ »[3] .

كما حَثَّ على اجتناب المرأة فى الحيض حيث يتدنى الاحساس الجنسى عند المرأة في هذه الفترة ، ويسبب الأضرار الصحية للرجل ..

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾[4]

ومن الأدب الرفيع الذي وضعه الإسلام في هذا المجال أنه يريد ألا يكون هذا الأمر مجرد أداء واجب بين الرجل وزوجته ، بل يريد أن يجعله تتويجا للمحبة والمودة والرحمة بين قلبيهما ..

تأمل معي هذا الأدب الرفيع في توجيهات المعلم - صلوات الله وسلامه عليه : « نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة ».

---

(١) البقرة : ٢٢٣ .
(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي .
(٣) راوه أحمد والترمذى
(٤) البقرة : ٢٢٢ .

خطب النبي ﷺ ثم ذكر النساء فوعظهم فيهن . ثم قال : « إلام يجلد أحدكم امرأته جَلْدَ الأمَة ، ولعله أن يضاجعها في آخر يومه »؟ (١) .

« لوأن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضى بينهما ولد لم يضره » (٢) .

ما أجمله من خُلُق ، وما أروعه من دين ، وما أحرانا أن نتأدب بهذا الأدب الرفيع !

* * *

● جعل الإسلام هذا العمل محاطاً بالكتمان بين الرجل وزوجته ، مرهوناً بوقته فقط دون أن يستحوذ على تفكير المسلم وطاقته ، فيتفرغ لنفسه وشئونه ورسالته فى الحياة ، وليست مناسبة تستحق أن يجترها الإنسان المسلم في كل مجال لتكون على لسانه كلاماً ، وفى عقله شغلاً ، وفي مجتمعاته نُكاتاً سخيفة.

وعندما يصير الجنس هكذا ، فإن الإسلام يرفع راية الخطر ، لأن الجنس قد تحولّ من كونه وسيلة إلى غاية ، وإلى هَمٍّ مُقعد مُقيم يُسيطر على أفكار الناس ويُعطل حركتهم في الحياة .. وهذا - لعمر الحَق - شأن التافهين الذين يقفون عند لذات الحس تاركين تحقيق الفضائل والمُثل العليا التي تجعل الإنسان يشعر بانسانيته ، ويحس بأن له رسالة فى الحياة غير رسالة الحيوانات ..

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ صَلّى ، فلما سَلَّمَ أقبل عليهم بوجهه .. فقال : « مجالسكم .. هل منكم الرجل الذي إذا أتى أهله أغلق بابه ، وأرخى ستره ، ثم يخرج فيُحدِّث فيقول : فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا ؟ فسكتوا .. فأقبل على النساء فقال : هل منكن من تُحَدِّث ؟ فجثت فتاة كعاب (٣) على إحدى ركبتيها ، وتطاولت ليراها الرسول ﷺ وليسمع كلامها ، فقالت : أي والله .. إنهم ليتحدثون ، وإنهن ليتحدثن . فقال

---

(١) راوه ابن ماجه . (٢) متفق عليه . (٣) الفتاة الكعاب: التي نهد ثديها .

صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ مثل شيطان وشيطانة لقى أحدهما صاحبه بالسكة ، فقضى حاجته منها ، والناس ينظرون إليه »[١] .

وجاء في حديث آخر : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها »[٢] .

وهذا القرآن المربِّي الأول عندما يتحدث عن الجنس ، يتحدث بالأسلوب الذي يُؤدي الغرض ولا يخدش الحياء ، وإذا صادف المسلم حديثاً صريحاً عن العورة في القرآن أو السنة ، فإنما يكون ذلك حيث لا يُغني عن اللفظ غيره في مكانه، ولا يقوم لفظ آخر بمعناه الذي يُفهم منه الأمر أو النهي أو التوجيه ..

تأمل روعة التعبير وروعة الكنايات فى أدب القرآن - قال تعالى :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَكُلوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيْنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ، وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ ﴾[٣] .

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ، وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ ﴾[٤] .

﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[٥] .

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾[٦] .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود (٢) راوه مسلم . (٣) البقرة : ١٨٧ .
(٤) البقرة ٢٢٢، ٢٢٣. (٥) المائدة : ٦. (٦) البقرة : ٢٣٧ .

وعن المكان الذي يخرج منه الولد يقول تبارك وتعالى : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾(١)

ويعبر عن المَنِّي في بعض المـــواطن بأسلوب التلميح لا التصريح فيقـــول : ﴿ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

فأي تأديب هذا ؟ ! وأي رفق بالمشاعر ؟! وأية بلاغة سجد لها البلغاء ؟!

وهذا عمر رضي الله عنه : يأتي إلى النبي ﷺ فيقول له : يارسول الله ، هلكت .. قال : وما أهلكك ؟ قال : حولت رحلى البارحة ...

فياليت اللاغين فى الحديث من أصحاب المجالس الجنسية - وما أكثرها - ليتهم يعون هذه الدروس ، ويتأدبون بأدب القرآن .. !!

* * *

(١) عبس : ١٩- ٢١.

(٢) المعارج : ٣٩.

obeikandl.com

منهج الإسلام فى تجفيف منابع الفتن

منهج الإسلام في بناء الأسرة لا يقوم على مبدأ الشيوعية الجنسية ، فليست المرأة الواحدة لكل الرجال ، ولا الرجل الواحد لكل النساء .

والإسلام في هذا التصور الرائع يُكَرِّم الإنسان أيما تكريم ، وَيُنَظِّم المجتمع ويُحَدِّد المسئوليات : مسئولية الرجل نحو أسرته ، ونحو زوجته ، ونحو أولاده. وكذلك مسئولية المرأة نحو زوجها ونحو أولادها ..

وذلك حتى لا يصبح المجتمع كمجتمعات الكلاب يقتتلون على كلبة ، أو يتصارعون على جيفة ، يأكلونها لحماً طرياً ، ويتركونها عِظاماً نخرة ، كما رأينا فى الصور الحيوانية الخالصة التي عرضناها للغرب المنهار ..

ولذلك أيضاً نجد أن الإسلام عالج بالغذاء قبل أن يعالج بالدواء ، وعالج بالحَمِيَّة قبل أن يستعمل مشرط الجراح .. فوضع القواعد التي تسد باب الغواية ، وتجفف منابع الفتنة ليكون الجنس مصدر تشييد وبناء ، بدلاً من أن يصير مصدر هدم وشقاء ..

والإسلام عندما يُشَرِّع فإنه لا يتطوع بترقيع نظم اجتماعية مختلة أو نظم اقتصادية فاسدة ..

كلا .. لأنه يرسم ويُشَرِّع لمجتمات ربانية تخضع فى كل حركاتها وسكناتها لمنهج الله عز وجل ..

هذا المنهج وحده هو القادر على تكوين مجتمع نظيف بكل ما تعني هذه الكلمة من معان .. نظافة في الضمير .. نظافة في السلوك .. نظافة في الظاهر .. نظافة في الباطن .. مجتمع يتمتع بطُهر الملائكة وبنقاء الملأ الأعلى .

وعلى طريق بناء هذا المجتمع ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[1] .

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا ﴾ تعبير دقيق يؤكد على إيصاد كل باب يمكن أن يُوَصِّل في النهاية إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم .. سواء أكان ذلك نظرة متطفلة، أو لمسة فاجرة ،أو لفظة متكسرة ،أو أغنية عاهرة ، أو فيلماً ينفخ فيه الشيطان من روحه فيعصف بقلوب الشباب ويدفعهم إلى السقوط ..

وهكذا فالإسلام - كما قررنا - يعمل على تجفيف منابع الفتن ، وردم المستنقعات التى تبيض وتفرخ فيها جراثيم الفساد ..

والآن إلى وسائل الوقاية التي تحفظ على المجتمع المسلم طهره ونقاءه ..

* * *

(١) الإسراء : ٣٢.

openkandl.com

الإسلام وحُرمة العِرض

في سبيل بناء مجتمع رباني .. يضع اللّه - عزّ وجل - الضوابط التي تحمي هذا المجتمع من التفكك والانهيار ، وذلك حتى يصير كل إنسان في هذا المجتمع المسلم آمناً على نفسه وعِرضه وماله ، ويصبح المؤمنون فيه بنعمة الله إخواناً..

ولكي تتحقق هذه الروح في المجتمع المسلم ، فإننا نجد الإسلام يحارب النفوس المختلة التي تثير الحقد في هذا المجتمع ، والتي لا هَمّ لها إلا الهمز واللمز ، والتنابز بالألقاب ، وتتبع العورات ، والسخرية من خلق الله ..

وهذه كلمات كالقوارع ، يُنذر بها رسول اللّه ﷺ هذه الفئة المريضة التي تجعل من أعراض الناس خبزها اليومي الذي تقتات به ..

يقول رسول اللّه ﷺ في إحدى خطبه : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من اتّبَعَ عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع عورته يفضحه فى بيته »[1] .

وللمحافظة على العِرض وصيانته نجد أن الإسلام قد أقام حوله سياجاً قوياً متيناً لحمايته ، فَقعّدَ القواعد ، وقَنّن القوانين ، وحَدَّ الحدود ، ووضع التدابير الرادعة لكل من تُسَوِّل له نفسه أن يصير بوقاً لترويج الشائعات والطعن فى الأعراض ، وتلويث سمعة الأبرياء ..

فمن تُورط فى جريمة تلويث عِرض مسلم أو مسلمة بالقذف صريحاً كان أو كناية فإنه الردع والزجر بصورة تقطع دابر هذا العبث من المجتمع المسلم .. فيحكم على هذا المروِّج والوالغ في الأعراض بنوعين من العقاب : العقاب البدني بأن يُجلد ثمانين جلدة على مرأى من الجماهير المسلمة ، والعقاب الأدبي،

---

(١) أخرجه أبو داود .

بإسقاط حقوقه ، كفرد في المجتمع المسلم فلا تُقبل له شهادة أبداً ، لأنه - في نظر الإسلام - فاسق لا يؤتمن على شيء .. قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]

وفي نفس الوقت الذي وضع فيه الإسلام هذه العقوبة الرادعة الزاجرة ، فإنه وضع عقوبة أشد وأنكى لمن تثبت عليه جريمة ارتكاب الزنا .. هذه العقوبة تصل إلى درجة الإعدام رمياً بالحجارة ، إذا كان الجاني متزوجاً ، أو الجلد مائة وتغريب عام إذا كان الجاني عَزْباً ..

ولقد اهتزت السماء يوم أن افترى رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ على السيدة عائشة حديث الإفك .. وصمتت السماء ، حتى يكون الاختبار والابتلاء ..

وينزل جبريل من السماء بعشر آيات من سورة النور ، وكأنها وقع السهام المرسلة في صدور الذين تلقفوا الفرية وأذاعوها ، وحاولوا أن يجعلوا منها مادة حية للكيد للإسلام والمسلمين .. تأمل معي هذه الطوارق :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾ .

﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

---

(١) النـــور : ٤ .

﴿ ولَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤمنِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعلَمُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

ولقد كان من قول السيدة عائشة في حديث الإفك : « ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنزل في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمرٍ يُتلى ، ولكن كنت أرجوأن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرِّئني الله بها ».

ولكن الله عز وجل يغار أن يمس شرف امرأة مسلمة في عرضها فضلاً عن كونها زوجة نبي .. ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

نعم إنه عظيم وجليل ، ولقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن الكبائر ؟ فقال : « هن تسع : الإشراك بالله ، وقتل نفس المؤمن بغير حق ، وفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وعمل السحر ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتاً »[2] .

بل إننا نجد أن حُرمة عرض المسلم في الإسلام تفوق حُرمة الكعبة عند الله ، فلقد نظر النبي ﷺ إلى الكعبة ثم قال : « ما أطيبك وأطيب رائحتك ، وما أعظمك وأعظم حُرمتك ، والمؤمن أعظم حُرمة عند الله منك .. حُرمة دمه وعِرضه وماله »[3]

---

(١) النور : آيات مختارة من ١١ - ٢٣ .

(٢) أخرجه البيهقي والحاكم واللفظ له .

(٣) حديث شريف .

ولقد كان العِرض عند العربى فى الجاهلية عرين الأسد الذي لا يُنال .. نجد ذلك مسجلاً فى تراثهم يقول أحدهم :

أصون عِرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العِرض في المالِ

أحتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعِرض إن أودى بمحتالِ

ويقول آخـــــر :

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي ، وعرضي وافر لم يُكْلَمِ

ومما أثر عنهم فى ذلك قولهم : « كل شئ مهه ما خلا النساء وذكرهن » أي كل شئ يمكن احتماله والتغاضي عنه إلا الاعتداء على الحُرم فإنه لا يحتمل .

جاء الإسلام فزكّى عندهم هذا الإحساس ، وهذه الصفة التي تُنبئ عن الشَمم والأنفة ، حتى إننا نجد سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك رســـول اللّـه ﷺ. فقـــــال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »[1] .

أين هذا مما يقوله « الخواجة» فرويد من أن الغيرة ليست إلا عادة حيوانية وحشية .. وخير للمرأة أن تتزوج رجلاً خائناً عِربيداً من أن تتزوج رجلا غيوراً !!

لقد حرّم الله الجنة على كل ديوث لا يغار على أهله فقال ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً : الديوث ، والرَجِلَةُ من النساء ، ومدمن الخمر » قالوا : يارسول الله ، أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قـــــال : « الذى لا يبالي من دخل على أهله . قالوا : فما الرَجِلَةُ من النساء ؟ قال : التي تتشبه بالرجال »[2] .

وفي رواية أحمد : «الديوث الذى يُـــقر أهله في الخبث ».

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الطبراني .

هذه هي روح الإسلام التى تجعل العِرض داخل حصن حصين ، ومُدرعاً بسياج متين ، والتي تجعل الموت في سبيل العِرض شهادة في سبيل الله ..

أين هذه الروح الأبيَّةُ ممن ينتسبون إلى الإسلام وإلى العروبة ..

لو نظرت إلى كثير من هؤلاء لصدمتك الحقيقة بين الأمس واليوم .. فهذا شاب « متخنفس » يرسل شعره على أُذنيه ، ويلبس (الكعب العالي) ويضع سلسلة في عنقه كالـ ... ، ويتأبط ذراع أُخته أو زوجته الكاسية العارية .. لا يُبالي أن يعرضها في الشوارع على الأنظار ، أو يعرضها لحماً غضاً على شواطئ الأنهار .. تراه يسير إلى جوراها مختالاً فخوراً يتمنى لو اخترق الأرض أو بلغ الجبال طولاً .. وكأنه بطل عالمي قد حصل على وسام نال لبطولة دولية ، أو قائد مغوار حقق نصراً مؤزراً على الصهيونية . وآسف اذا قلت له : لا أنت من العروبة في شيء ، ولا من الإسلام في شيء .. ولكنك - فقط - لقيط فى ديار الإسلام !!

* * *

فتنة النظر

إن الإسلام عندما يُشرِّع فإنه لا يُحلِّق في أجواء خيالية حالمة ، ولكنه يُشرِّع لأرض الواقع التي يعيش عليها الناس . . والله عز وجل عندما يأمرنا بَغضِّ البصر ، لم يطلب من الإنسان أن يسير في الشارع مغمض العينين ، ليتعثر في الطريق ، أو ليصطدم بجدار ، ولذلك فإننا نجد التوجيه الإلهي يأمرنا أن نَغُضَّ من أبصارنا لا أن نَغُضَّ أبصارنا بالكُلِيَّة ، حتى يرفع عنا الحرج والمشقة . .

فقال تعالى : ﴿ قُلْ للمُؤْمنينَ يَغُضُّوا منْ أَبْصَارهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصنَعُونَ ﴾(١) .

﴿ وَقُلْ للمُؤْمنَات يَغْضُضْنَ منْ أَبْصَارهنَ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَ إِلاَّ مَا ظَهَرَ منْهاَ ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(٢)

والإسلام عندما يأمرنا بِغَضِّ البصر ، فانه يحفظ على الإنسان نفسه ، فمن سرَّح ناظره أتعب خاطره ، ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته ودامت حسراته .

وتصور معي شاباً كل هَمُّه أن يخرج ليتسكع في الشوارع قصداً إلى أن يُلاحق بنظره كل رائحة وغادية . .

هل تعتقد أن ذلك سيحقق له الهدوء الجنسى ؟ . . كلا . .

وإنما سيزيد نار الجنس إشتعالاً ، وسيظل ليله ونهاره مسلوب القلب مشتت الفكر . . يتخيل صورة هذه الفاتنة التى من أوصافها كذا وكذا وكيف يلقاها ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وبالطبع ليس كل من يراها يستطيع أن يلقاها . . ويظل صاحبنا

---

(١) النور : ٣٠.

(٢) النور : ٣١.

شارداً في أحلام اليقظة يُمَنِّي نفسه بالأماني الباطلة ، ويبني قصوراً من الورق على أساس من الرمال . وفى مثل هذا يقول الشاعر :

وكنت متى أرسلتَ طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المنـــاظرُ

رأيت الذي لا كُـلَّهُ أنـت قـادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

إن في استطاعة كل شاب أن يُعَنِّ النظر في كل امرأة تقابله ، وفي استطاعة كل شاب أن يسقط فى أوحال الجنس بأي أسلوب . .

ولكن هل تعتقد أن السقوط بطولة ؟

هل تعتقد أن فقد السيطرة على النفس رجولة ؟

كلا . . وإلا لصار كل الساقطين والتافهين من الأبطال . .

إن الطائرة عندما تريد أن تُحَلِّق فى طبقات الجو العليا ، فإن كافة الأجهزة فيها تعمل بكل قوة ، حتى تتمكن من مقاومة معاكسة الهواء لها . . وبذلك ترتفع . . أما عندما يحدث خلل فى أجهزتها فإنك تجدها تهوي إلى الأرض في ثوان قليلة . . والسقوط دائماً ينتهي بكارثة . .

وهكذا الشاب القوي عندما يقاوم شهوته ، ويتحدى ضعفه ، يرتفع ويسمو ، ويُحَلِّق في أجواء الفضيلة ، ويُحقِّق رجولته ، ويُثبت بطولته ، ولذلك فإنه يشعر في أعماقه بلذَّة عظيمة . . لذَّة الانتصار على النفس .. لذة الانتصار على الضعف .. لذَّة النجاح في قهر الشهوة التي تستبعد الآخرين فيخرون تحت وطأتها صرعى نتيجة ضعفهم وخورهم ووهن عزيمتهم . .

وهذه اللذَّة هي التي يُعَبِّر عنها الحديث القدسي : بـ « حلاوة الايمان » .

يقول الرسول ﷺ في الحديث القدســـي الجليل الذى يرويه عن اللّه عز وجل: « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه » (١)

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .

ويقول الشاعر مشيداً بقوة هذه الإرادة وصلابتها :

ليس الشجاع الذى يحمى مطـيته يوم النزال ونار الحرب تشتعل

لكن فتى غَضَّ طرفاً أو ثنى بصراً عن الحرام فذاك الفارس البطل

وقد كان النبي ﷺ يؤدب أصحابه بهذا الأدب الرفيع ، فيقول : « ياعليّ ، لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى ، وليست لك الثانية » (١) .

ولما سأله جابر بن عبد الله عن نظر الفجاءة ؟ . قال له : « اصرف بصرك » (٢) .

إذا علمنا ذلك فإنه ليس عجيباً أن يكون الشاب الذى ينتصر على هواه ، ويقهر شيطانه بغَضِّ البصر - ليس عجيباً أن يسمو إلى مرتبة المؤمن الذي خشع قلبه ، واهتزت نفسه من خشية الله فهطلت الدموع من عينيه ، وفي مكانة الجندي المرابط على ثغر من ثغور المسلمين يحرسها ، يقول ﷺ :« ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفّت عن محارم الله » (٣) .

وكأن رسول الله ﷺ ينظر من وراء الغيب إلى مجتمعات آخر الزمان ، فيجد المتسكعين على النواصي ، والجالسين على المقاهي وهم يجرحون مشاعر الرائحات الغاديات بعيونهم الجريئة وكلماتهم البذيئة فيوجّه إليهم هذا التحذير فيقول : «إياكم والجلوس في الطرقات » . قالوا : يارسول الله ، مالنا من مجالسنا بُـدّ ، نتحدث فيها . فقال رسول الله ﷺ : « فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه » . قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : « غَضُّ البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » (٤) .

* * *

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود .
(٢) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود .
(٣) رواه الطبراني .
(٤) متفق عليه .

فتنة الخلوة بالأجنبية

خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية . . أسُّ البلاء ، ومصدر الشقاء ، ومادة حية للشبهات والقيل والقال .

ولقد جَرَّ علينا بُعْدنا عن الله وعن توجيهات رسـوله ﷺ فتناً كقطع الليل المظلم . . فكم من أسر تحطمت ، وكم من صروح زوجية قد انهارت فوق رؤوس أصحابها نتيجة مباشرة لانسياقهم في ركاب التحلل والتمدين رغم أنهم يرون حضارة الغرب المادية قد بدأت في طَور الإنهيار ، ولم يعد هناك ما يمكن أن يُطلق عليه اسم « أسرة » بأي معنى من معاني هذه الكلمة !

وحرصاً من الإسلام على بناء المجتمع الإسلامي النظيف ، فإننا نجد أن جملة التوجيهات الرفيعة التي تساهم في تشييد صَرح هذا المجتمع تحذيره ﷺ من الخلوة بالمرأة الأجنبية فيقول : « لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان »[1] .

وعامة الناس عندنا عندهم نوع من التعامي ، أر عمى الألوان ، فهم لا يُحلون حلالاً ولا يُحرِّمون حراماً . . حتى إذا وقعت الواقعة لطموا الخدود وشقوا الجيوب ! !

فهذا رجل يحرص على أن يكون أولاده ذكوراً وإناثاً من « الدكاترة » والمهندسين و . . . و . . . إلى آخره - وهذا شئ لا ينكر عليه - ولذلك فهو يأتي لبناته بالمدرسين (الخصوصيين) . . ويدخل المدرس ، وينفرد بالفتاة في حجرة لا يُعَكِّر صفوها شئ ، اللّهم إلا سماع وقع أقدام تُقبل من بعيد ، لتُقَدِّم الشاي أو القهوة للضيف العزيز . . . .

---

(١) رواه أبو داود .

ووالله الذي لا إله غيره إننا نستطيع أن ننقل إلى هذه الصفحات من هذا الواقع الأليم مايندى له الجبين خجلاً . . ولله في خلقه شئون .

وإننا هنا لا نتهم كل مدرس بأنه يقلب حصة الـ . . . إلى حصة في الحب والغرام . . كلا . . . فهناك من المدرسين الأفاضل من هم فى طهارة ماء السماء . .

ولكن الإسلام يرفض رفضاً باتاً وقاطعاً وجازماً أن يخلو رجل بامرأة لا تحل له لأي سبب من الأسباب .

ما المانع أن يجلس مع المدرس أحد محارم الفتاة ؟ ليس تخريناً لها ، ولا طعناً في أخلاق المدرس ، ولكنه الالتزام بأوامر الله عز وجل : ﴿ وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[1] .

وإننا نتساءل لماذا لا تكون المبادرة من المُعَلِّم نفسه وهو القُدوة والأسوة بأن يطلب أحداً يجلس معه إلى حين انتهاء الدرس ؟ لا ريب أنه إذا فعل ذلك سيزداد في نظر أهل البيت فضلاً على فضله ، ويكون قد أعتق نفسه من تَبعة الخلوة بامرأة أجنبية عنه . . .

ولقد نصح « عمر بن عبدالعزيز » ميمون بن مهران فقال له : « يا ميمون ، لا تَخْلُوَنَّ بامرأة لا تحل لك وإن أقرأتها القرآن ، ولا تتبع السلطان وإن رأيت أنك تأمره بمعروف أو تنهاه عن منكر ، ولا تجالس ذا هوى فيُلقي في نفسك شيئا يسخط الله به عليك » . هذه صورة . . .

وصورة ثانية لشاب يخطب فتاة من أُسرة متحررة متقدمة ، منفلتة من ضوابط الأخلاق . . وتسمح الأسرة العصرية بأن يخلو الخطيب بخطيبته . . وربما ذهب

---

(١) الحشر : ٧ .

بها إلى « السينما » ويسيران معاً وقد تأبط كل منهما ذراع الآخر «أنجشيه » .

ويتفرجان معاً على مشاهد الحب والغرام ، والعشق والهيام . . وما لهما لا يُجَرِّبان ، وقد أصبحا خطيبين وعما قريب سيصبحان زوجين ؟ . . . وبعد تمنع ورد رفيق ينال الخطيب الحبيب ما ينال . . وتدرك الخطيبة العبقرية - بعد فوات الأوان - أن المحب المتيم ما تركها إلا لأنها سقطت في امتحان الفضيلة الذى عقده لها المحب الولهان .

وصورة ثالثة ، وهي في هذه المرة لصديق شهم يأتي إلى بيت صديقه في غيبته ، فتبرز له زوجة الصديق الغائب . .

- مرحباً وأهلاً .

- أين فلان ؟

- سيأتى بعد قليل ، تفضل حتى يأتى . .

ويدخل الصديق ويجلس مع الزوجة منفردين . . وتتكرر اللقاءات على هذا النمط ، وربما كان هناك أطفال صغار لا يدركون مما يجري حولهم شيئاً

أتدرى فيم يكون الحديث ؟

الجواب . . من الغرب المجرب :

تقول الدكتورة « ماريون » فى مجلة « ريدرز دايجست » : « وإني كطبيبة أعتقد أنه ليس فى الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاتاً طويلة ، وما أكثر ما وقعت الواقعة بينهما ، وكنت - بحكم عملي - أهتم بأولئك الفتيات غير المتزوجات اللاتي يُوشكن أن يصبحن أمهات . فكنت أسأل بعضهن ممن يتميزن بالذكاء والحس المرهف : كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟ . .

فكانت الفتاة تجيبنى قائلة : « لم أستطع أن أضبط نفسي » . . وحتى

الزوجات اللاتي يرتكبن نفس الخطيئة كن ينتحبن قائلات : « لم نستطع أن نضبط أنفسنا » ومع ذلك فقد كان في مقدورهن أن يتفادين الكارثة لو لم يتركن أزواجهن ، ويصاحبن الأصدقاء في أثناء العودة إلى البيت والذهاب إلى النادي».

وصدقت ياسيدي يارسول الله فقد قلت : « لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا هَمٌ أو هَمَّتْ به » قيل : يارسول الله ، وإن كانا صالحين ؟ قال : « ولو كانت مريم بنت عمران ويحيى بن زكريا » [1] . . .

* * *

(١) ذم الهوى لابن الجوزي .

obeikandl.com

فتنة الصوت

من سمات الأنوثة البارزة في المرأة ، رقة صوتها ورخامة منطقها ، ومن المعروف فسيولوجياً أن هناك فرقاً بين الأحبال الصوتية للمرأة ، والأحبال الصوتية للرجل « فأحبال المرأة الصوتية قصيرة ورقيقة ، أما الأحبال الصوتية للرجل فهي طويلة وغليظة . وكذلك حنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل ، والألياف العضلية لحنجرة الرجل أقوى مما يجعل صوته قوياً خشناً عن صوت المرأة الذي يتميز بالضعف إلا في الحالات الشاذة »[1] .

ومن ثَمَّ فقد تكون الفتنة بالمنطق أشد وأقوى من الفتنة بالنظر ، ولا ينبئك خبير مثل هذا الشاعر الداعر الذي وجد في لذّته بسماع صوت المرأة الرقيق عوضاً عن نظره الذي فقده فيقول :

ياقومي أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لا ترى تهذي ، فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

ومن التدابير الوقائية التي اتخذها الاسلام للمحافظة على الفضيلة - أنه وَجَّهَ الخطاب للمرأة المسلمة من خلال زوجات النبي ﷺ - وهن القدوة والأسوة والمثل الأعلى - بألا يخضعن بالقول حتى لا يُطمع ذلك مرضى النفوس ، ويكفي تعبير القرآن الكريم في هؤلاء المتلصصين بأن في قلوبهم مرضاً ، قال تعالى :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾[2]

---

(١) من حديث للدكتور محمد شعلان في مجلة أكتوبر - العدد ٦٧ في ٢٧ صفر سنة ١٣٩٨ هـ .

(٢) الأحزاب : ٣٢ .

والإسلام لا يرضى للمرأة أن تنقلب إلى رجل . . معاملة خشنة ، وصوت أجش ، ومنطق غليظ . . كلا . . فإن هذا مناقض لطبيعتها التي فطرها اللّه عليها ، ولا يريدها كذلك أن تتكسر في كلامها ، وتترقق في صوتها ، وتتصنع في لهجتها مَداً وغَناً ، فُتحرِّك الشهوات الكامنة ، وتُثير الغرائز الساكنة ، بل يريدها أن تكون معتدلة . . متزنة الشخصية . . جادة في كلامها ، وبذلك تحظى بالاحترام من المجتمع ، وبالأجر العظيم من اللّه .

يقول الدكتور محمد شعلان : « إن الصوت يعتبر في بعض الحالات دليلاً بارزاً على الحالة النفسية والاجتماعية للكائن الحي . فالمرأة التي تربط بين الأنوثة وبين مشاعر القهر والضعف ، تجدها على سبيل المثال تتشبه بالرجال فيه، وصوتها غليظ ، وبصفة خاصة إذا تحدثت في مجتمع من الناس . وهذا يكشف تلك المحاولة التي تبذلها لإخفاء ضعفها بالنسبة للرجال .

أما المرأة التي تعرف أن سلاحها القوي في أنوثتها تجدها مُفرطة في استخدام صوتها برقة مفتعلة ، وكانت ممثلة الإغراء « مارلين مونرو » تُعَدُ أكبر مثل على ذلك لأنها كانت تستخدم صوتها بشكلٍ مفتعلٍ وبه إغراء شديد.

أما المرأة العاقلة المتزنة فنجد أن صوتها يأتي طبيعياً ورقيقاً دون افتعال ».

ونحن نقول : إن هذا الصوت الطبيعي المعتدل الخالي من التكسر والإغراء هو قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفَاً ﴾ [1] .

* * *

(١) الأحزاب : ٣٢ .

فتنة الجـوار

كلنا يذكر الوصية التي أوصى بها جبريل رسول الله ﷺ : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » [1]

ونذكر قول الله عز وجل : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ والصَاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [2] .

وفي مجال العِرض جعل الإسلام للجار حقاً يضاف إلى حق الإسلام والجَوار هو حُرمة العِرض . . وإذا كانت حرمة العرض تشمل كل مسلم ، فإن الإسلام يشدد ويؤكد على حُرمة عِرض الجار .

وذلك لأن تلاصق الدور قد يؤدي الى تسهيل المعاكسات واقتحام الحُرمات .

ونحن في هذا الزمان أحوج ما نكون إلى التأدب بهذه الآداب العالية ، حيث تجاورت فيه الأبنية والعمارات ، وتلاصقت الشرفات ، وأصبحت الشرفات مناخاً ملائماً لإقامة المراهقين والمراهقات ، وأصبحت معاكسة بنت الجيران وربما ابن الجيران تمثل مشكلة اجتماعية في بعض المجتمعات الإسلامية التقدمية التحررية الاشتراكية . . .

ومن ثَمَّ فإن الإسلام يُولي حقوق الجَوار بالنسبة للعِرض أهمية غير عادية .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : « أن تدعو لله نداً وهو خلقك » قال : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعَم معك » قال : ثم أي ؟ قال : « أن تُزاني حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها :

---

(١) متفق عليه .

(٢) النساء :٣٦ .

﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانَاً * إِلاَّ مَنْ تَابَ﴾[1] .

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « ماتقولون في الزنا » ؟ . قالوا : حرام حَرَّمه اللّه ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال ﷺ : «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره » . قال : « ماتقولون في السرقة » ؟ . قالوا : حرَّمها اللّه ورسوله فهي حرام .قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره »[2] .

ورحم الله هذا الشاعر الذي تَخَلَّقَ بأخلاق الإسلام فقال :

ماضر لي جار أجاوره ... ألا يكون لبابه ستر

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يُواري جارتي الخدرُ

وتُصَمُّ ما عما بينهم أُذني ... حتى يصير كأنه وَقْرُ[3]

* * *

(١) متفق عليه ، والآية من سورة الفرقان : ٦٨ - ٧٠ .

(٢) رواه أحمد والطبراني .

(٣) سيلاحظ القارئ الكريم أننا اثتنسنا في بحثنا هذا بكثير من أبيات الشعر ، ونذكر في هذا المقام ما قاله الامام محمد عبده . . يقول الامام : « لو أنهم سألوا الحقيقة أن تختار لها بيتاً تشرف منه على هذا الكون ، لما اختارت غير بيت من الشعر » .

فتنة سفر المرأة وحدها

عن أبي قُلابة عن أنس قال : كان النبي ﷺ في سفر ومعه بعض نسائه ، وكان غلام يحدو بهن - يغني للإبل - يقال له أنجشة ، قـــال فقال النبي ﷺ : « ويحك ياأنجشة ، رويدك سوقك بالقوارير » ، أبو قلابة : فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه ، قوله : « سوقك بالقوارير » [1] .

أنجشة يُغَنِّي ، فتطرب الإبل لحدائه ، فتسرع في السير ، فيقول النبي ﷺ : « ويحك يا أنجشة ، رويدك » خفف وتمهل وأرفق بالقوارير . . والقوارير كناية عن النساء . . شبههن صاحب الأدب العالي والذوق الرفيع بالقوارير ، بالزجاج في الرقة والصفاء والنقاء والضعف . .

ويحس أبو قُلابة كعربي بروعة التشبيه ورقته ، كأنه نوع من المداعبة والمزاح، فيقول : فتكلم النبي بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه ، أي لعددتم ذلك نوعاً من الغزل الصريح بالنساء . .

والإسلام بكل اللطف والذوق والرقة والصيانة يعامل القوارير ، ويغار عليها أن تُخدش ، أو يذهب بصفائها يد تمتد إليها فتلّونها . .

والمرأة هذه القارورة في ضعفها لا تستطيع وحدها أن تكابد مشقات السفر وتبعاته ، فهي في حاجة إلى من يعينها ويحميها من سباع الطريق وذئابه [2] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَخْلُوَنَّ أحدكم بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم » . . فقام رجل فقـــال : يارســـول الله ، إن امرأتي خرجـــت حاجّة وإني اكتتبـــت في

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) اختار الإمام ابن تيمية القول بجواز سفرالمرأة مع رفقه مأمونة . . وذلك عند عدم وجود المحرم .

غزوة كذا و كذا ، فقال الرسول ﷺ : «انطلق فحج مع امرأتك» [1] .

أيُّ دين هذا الذي يُقَدِّم حماية العِرض على الجهاد في سبيل الله ؟ . .

إنه الإسلام . . حُجة الله على خلقه إلى أن تقوم الساعة . .

وقد يعترض على هذا الأدب بعض التقدميين والعصريين و . . . و . . . فيقولون : إننا في عصر المساواة . . في عصر الأمن والأمان . . في عصر الطائرات والنفاثات و « الجامبو » و « الكونكورد » .

وسأسمح لنفسي هنا بنقل هذه الواقعة كما هي ، ولعلها تُلقم المتنطعين حجراً.

تحت عنوان : « فتاة وحيدة في المطار » كتبت محررة زاوية « أخبار حواء » تقول : جاءتني شابة صغيرة تنتفض من الغضب لتحكي لي ما حدث لها في مطار القاهرة الدولي . . اضطرتها ظروفها القاسية إلى العودة وحدها من الخارج مساء الجمعة ٢٢ من أكتوبر - دون أن ينتظرها أحد في المطار . . ولأنها أول مرة تسافر وحدها . . لم تعرف إجراءات السفر من ملء استمارات ، واستلام حقيبتها وغيرها من الاجراءات المعقدة . . أرجو أن يبحث المسئولون تبسيطها .

وتستطرد المحررة فتقول : ورأى أمين الشرطة حيرتها ووحدتها . . فتقدم لها يساعدها في الإجراءات ، وقبل أن تشكره همس في أُذنها : متى أراك ؟ وما رقم « تليفونك » ؟ واندهشت الفتاة ، وتركت له قلمها الذي استعاره منها ، ولم تشكره ، وسارت تبتعد عنه ، فما كان منه إلا أن لحق بها وظل يضايقها ويلح عليها في اللقاء حتى خرجت إلى باب المطار وهي تحمل حقيبتها . .

ووسط هذه الحيرة تقدم لها أحد الأشخاص يسألها : هل تريدين تاكسي ؟ فقالت له : نعم أرجوك ، وحمل عنها حقيبتها وسار أمامها ، ولأن الساعة السادسة والنصف مساء فلم تلاحظ الفتاة أن السيارة خاصة وليست « تاكسي » ووضع الرجل الحقيبة علي المقعد الخلفي ، وتقدمت هي لتركب بجوار حقيبتها ،

---

(١) متفق عليه .

ففتح لها الباب الأمامي لتركب بجواره . . فلما قالت له : شكراً سوف أركب بجوار الحقيبة ، قال لها : أنا لست سوّاق « تاكسي » أنا صاحب هذه السيارة الخاصة ، وتنبهت الفتاة إلى أن السيارة ليست تاكسي ، وإنما سيارة « سوداء».. وقالت له والدموع تخنق صوتها : ألم تسألني إن كنت أريد « تاكسي » . . كيف تتصرف هذا التصرف المخجل ؟ وجذبت حقيبتها من السيارة وراحت تتعثر حتى وحدت تاكسي وركبته وهي تبكي . .

وتُعلّق المحررة على هذه الواقعة - كما تعودنا من كُتّابنا ومفكرينا الأماجد - بتعليق سطحي ساذج فتقول : « وأنا بدوري أُقدّم هذه الواقعة المخجلة للمسئولين في المطار ورجال الأمن »[1] .

إن المشكلة - هداني الله وإياك - في الإسلام ومنهجه في تربية الناس . . . في هذا الدين المفترى عليه . . في هذا الدين الغريب في وطنه والمطارَد من أهله . . ماذا يفعل المسئولون ورجال الأمن في الضمائر الخربة ، والذمم الميتة ؟ ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] .

ومن أظلم ممن يُعَطّل شرع الله ويجتهد في عزله عن حركة الحياة ؟ . . فحسبنا الله ونعم الوكيل . . ! !

* * *

(١) الأخبار في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

(٢) الروم : ٤١ .

فتنة القرابة

هل تكون القرابة فتنة ؟

نعم . . قد تكون كذلك إذا لم تُراع فيها الحُرمات ، والوقوف عند الحدود التي حدَّها الله تعالى - الذي خلق الإنسان ، وركَّب فيه العواطف والغرائز . .

وهل هناك سواه يعلم مداخل النفس ومخارجها ؟

﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اَللَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ ﴾ (١) .

لقد سأل الصحابة يوما رسول الله ﷺ عن أقارب الزوج أو الزوجة من الرجال يدخلون على زوجة الرجل في غيبته - وعادة الناس التساهل في مثل هذه الأمور - ولكن الذي لا ينطق عن الهوى يجيبهم إجابة بليغة قاطعة ، لتكون درساً للأولين والآخرين ، بحيث لا يكون بعدها أي مجال للمناقشة أو الاجتهاد فيقول : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو؟ قال : « الحمو الموت » (٢) .

أسمعت الإجابة . ؟ الموت . .

فدخول أحد الأقارب من غير المحارم على الزوجة دون وجود ما يمنع الخلوة ، يساوي الموت ، وذلك لأن دخوله وخروجه لا يثير الشبهات ، فربما كان ذلك سببا في تسهيل الحرام . . والإسلام لا يريد أن يضع الرجل أو المرأة موضع الاختبار، بل هو دائماً يعمل على سد الذرائع التي تؤدي إلى الفساد .

أرأيت معرفة بدقائق النفس البشرية أدق من هذه المعرفة ؟

أرأيت بناء للمجتمعات النظيفة أنظف من هذا البناء ؟

فلنتأدب بأدب الله رسوله . . وإذا زار أحدنا صديقه أو أخاه أو قريبه ، فلم يجده ، فليرجع طيب النفس ، وليذكر دائماً توجيه النبوة : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٣) .

* * *

---

(١) الملك : ١٤ . (٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي . (٣) متفق عليه .

فتنة اللمس

المرأة تلك المخلوقة الناضرة المتألقة التي تُسبغ على الحياة جواً من السعادة والمتعة والبهجة والرحمة أماً وأختاً وزوجة وابنة . .

هذه الجوهرة المكنونة . . يغار عليها الإسلام من نظرة جائعة أو لفظة جارحة، ويحيطها بسياج من الفضيلة فتبقى بمنأى عن الشبهات . . ليست كلأً لكل راتع ولا متعة لكل ناظر ، ولا نشوة لكل لامس . . ومن هذا المنطلق حَرَّمَ الإسلام على الرجل أن يلمس امرأة لا تحل له . .

وهو بهذا لا يتهم المجتمع بأنه مكون من أناس يحملون نفوساً مريضة . ولكنه - كما قلنا - يهتم بالوقاية قبل العلاج ، ويسد كل الطرق التي يمكن أن تُوَصِل في نهايتها إلى الفساد . .

وهذا الخُلُق العالي يضرب فيه الرسول ﷺ المثل الأعلى ، فعن أسماء بنت يزيد قالت : بايعت رسول الله ﷺ في نسوة ، فقال : « فيما استطعتن ». فقلن: يارسول الله ، بايعنا ، فقال : « إني لا أصافحكن ، انما آخذ عليكن ما أخذ الله عز وجل »[1] .

وفي حديث آخر عن أسماء قالت : « كان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء »[2] .

والأحاديث كثيرة في هذا الباب .

ولقد كنت أشرح هذا الحديث في قاعة الدرس فقام طالب مبدياً تعجبه : كيف لا يصافح القريبات والبعيدات ؟ - وقد صارت عادة مصافحة النساء من العادات الجاهلية التي تحكمت في حياة المسلمين - فقلت له : هل يمكن أن

---

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر .

(٢) رواه أبو يعلى ، وفي البخاري أحاديث كثيرة بهذا المعنى .

تسمح لأحد أن يُسَلِّمْ على أختك متلذذاً بالسلام عليها ؟ فأجاب على الفور : لا . فقلت له : اجلس لقد أوسعت نفسك جواباً . . عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .

بل إننا نجد أن النبي ﷺ نَفَّرَ من هذا السلوك بصورة عادية فقال : « إياك والخلوة بالنساء ، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة الا ودخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخا بطين - أو حمأة - خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له » (١) .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »(٢) .

ولعل الله عز وجل - يرفع الغشاوة من فوق عيوننا لنخصص حافلات للنساء، بدلاً من هذه الفضائح التي تعج بها وسائل المواصلات عندنا على أرض الإسلام وفي دولة العلم والإيمان . . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

* * *

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي .

openkandl.com

فتنة التبرج

التبرج من سمات المجتمعات الجاهلية .. قال تعالى :﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ (١) .

والفرق بين التبرج في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام ومجتمعاتنا اليوم .. هو أن التبرج في المجتمعات الأولى كان فيه نوع من البساطة أو الجهل ..

أما التبرج في مجتمعاتنا الحديثة ، فهو تبرج عن علم وبينة . . تبرج لا يُقاس به تبرج الجاهليات التي ذهبت أدراج الرياح ، لأنه في عصرنا قد تدنى الى مستوى من التبذل والإسفاف ، شاركت في صنعه شياطين الإنس والجن مجتمعين . .

فبيوت الأزياء . . وجدت في جسد المرأة تجارة رابحة . فـ « مودة » اليوم عند الركبة ، وغداً فوقها بخمسة سنتيمترات ، وبعد غد تزيد مساحة المعروض من خمسة إلى عشرين ، وهكذا دواليك ، وما على القطيع إلا أن يُنَفِّذ توجيهات وتعليمات بيوت أزياء الشيطان في باريس (كعبة التعري والمودات) . .

ومصانع التجميل ، لم تجد أروج من إنتاج الشعور والرموش الصناعية والمساحيق والمعاجين والأصباغ . .

فهذا مسحوق للبشرة الشقراء ، وهذا للبيضاء ، وهذا المعجون يستعمل مساءً ، وذاك صباحاً ، وذلك عند النوم ، وهذا كحل فيه من الزفت شبه كبير . . وهذه صبغة تُصبغ بها الأظافر الطويلة التي تَكدِّس خلفها ملايين الجراثيم ، حتى تغدو المرأة بعد استعمالها وكأنها أنشبت أظفارها في فريسة فلوثتها بالدماء .. وبفضل هذه « البويات » ذوي الجمال المطبوع وبرز الجمال المصنوع ... و :

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

ذبلت أزاهير العَفاف وسُعِّرَت في الحرب نار للهوى شـــعواءُ

عجباً لمن صبغوا الوجوه بأحمرٍ إذ ليس في تلك الوجوه حياءُ !!

ومحال « الكوافير » . . وما أدراك ما هي ؟

مستنقع للوباء الخُلقي ، ووكالات أنباء لأسرار البيوت ، وساعات من العمر - لا ترجع - تنفقها المرأة رخيصة تحت « السيشوار » ، ولمسات فاجرة على شعرها ووجها من رجل أجنبي عنها ، وربما امتدت الأيدي بحجة التجميل الى غير ذلك . . وكثيراً ما تكون الخلوة الكاملة لرجل أجنبي بامرأة أجنبية عنه . . وتحت يدي الآن مهازل نشرتها الصحف عن هذه المستنقعات ، ولكنني سأضرب عنها صفحاً ، فنحن - والحمد لله - نُحسد على معلوماتنا في هذا المجال . .

ماذا بقي في لعبة المرأة . . ؟

بقي الكثير . . .

مصانع الأحذية ، وهي الأخرى لها « مودات » و « موديلات » .. فهذا حذاء مكشرف يُبدي الأظافر الملوثة بالأصباغ ، وهذا نعل ذهبي يلف قدمي المرأة الرقيقتين بغلالة كأنها الذهب . . وهذا حذاء يُلبس من الساق إلى القدم ، وتلتف أليافه على الساق حتى تبدو السيقان أكثر جمالاً . . الحذاء أسود ، والساق بيضاء ، وبضدها تتميز الأشياء . .

وحذاء آخر كعبه من الألومنيوم . . وهذا له شأن آخر ، فكعبه العالي يُستعمل كآلة موسيقية في السير وخاصة في صعود السلم وفي الهبوط إلى السفح . . وقد كنت في مصلحة حكومية أنجز فيها بعض مطالبي ، فسمعت أحد الموظفين يقول موجهاً الحديث إلى زملائه : إنني أعرف فلانة عندما تنزل على السلم ، فسأله زملاؤه : وكيف ؟ قال : أعرفها بحذائها ، فإن له نغمات موسيقية خاصة أُميزها به وأميزه بها !!

فقلت : رحم الله نسوة تأدبن بأدب القرآن :

﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (١) .

ولم تقتصر التجارة على مطالب الفتنة في جسد المرأة بل امتدت التجارة إلى جسدها نفسه . .

فهذا محل تجاري تعمل فيه فتيات فاتنات لجذب العملاء !!

وهذه مجلة جنسية تعرض جسد المرأة شبه عار على صفحاتها لترفع رقم التوزيع !!

وهذه شركة للطيران تختار مضيفات لهن مقاييس جمالية معينة ، وذلك لتُدخل المضيفة البهجة والسرور والحبور على المسافرين على خطوطها ، ولتجعل منها متحفاً للمساحيق والألوان يُعرض على الراكبين ، حتى يُخفف عنهم قطع الفيافي والقفار !!

وهذا مستشفى يُعالَجُ فيه الرجال والنساء . . جل عاملات التمريض فيه من الفتيات ! . . ألا يصلح الرجال لهذه المهنة ؟ وهل من الصعب العسير علينا أن نجعل الرجال يُمَرِّضون الرجال ، والنساء يُمَرِّضن النساء ؟ كلا .. إننا نريدها أنثى لتُرَفِّه عن المرضى بابتسامة عذبة تُضئ من بين ثناياها ، ويد حانية يكون وقعها على المريض برداً وسلاماً . .

وكان من ثمرات هذا التبرج الفاضح ، والاختلاط المزري أن أُضيف إلى الأدب العربي المعاصر موضوع جديد في الشعر هو « الغزل في المضيفات والممرضات » .

يقول أحد المتغزلين في المضيفات :

مضيفـــة تخطر في الأعالي ... كأنها الملاك في خـــيالي
لـطيفة الخـــطو والـــتثني ... في غير ما كِبْر ولا اختيال
بســمتها الحلوة في حـــياء ... طارت بعقلي وقضت خبالي
ياليتـنا في الجو ما برحـــنا ... لم نهبط الأرض من الأعالي

---

(١) النور : ٣١ - ونعتقد أن هذا التفسير لا يأباه معنى الآية والعبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ويُقابَل هذا النوع من الغَزَل بدعوة إلى نبذ هذه الوظيفة التي تمتهن كرامة المرأة ، وتجعل منها سلعة رخيصة في سوق الشهوات . . يقول صاحب هذه الدعوة :

تبدو المضيفة في ابتسام تكلف ... في خدمة وعناية « بزباين »
تجلو جمالاً في صباغة خدها ... وحواجب صُفت لنشر محاسن
مُتَكَلِّفٌ ذاك الجمال وتحته ... قبح تَسَتَّرَ تحت كل مكامن
فكأنها تعطيك فيه «معرضاً» ... والعَرض يجلب كل شخص خائن
إن المضيفة عورة مكشوفة ... أبداً لعمري ما لها من صائن
إن كان فيها للحديث لطافة ... فالخُلْق مخدوش لها في الباطن
....

وهذا شاعر مريض نسى مرضه ، وأصيب بداء جديد هو نظرات ممرضتيه فيقول :

خليلي هل تأسو المراض خريدة ... بقامتها الهيفاء سهم من الحتف
لعمري ما دائي سوى نظراتها ... وبلسمي الشافي لديها وما أخفى
وقد عالجوا نصفي بكف رقيقة ... وبالسحر من عينيها أهلكوا نصفي

ويرد شاعر آخر على هذا اللون من الوظائف التي تجعل من المرأة معرضاً لعبث العابثين ، ونظرات المفتونين فيقول :

إن الممرضة التي في حسنها ... وجمالها ودلالها الفتّانِ
ماست بمستشفى لعرض مفاتن ... بتصنع تغزو لكل جِنانِ
لحم على وضم يُباع رخيصة ... للعابثين بأبخس الأثمانِ
كبضاعة في متجر معروضة ... للناس من قاص بها أو دانِ
أترى فتاة لا ترد للامس ... كفاً لها كل العيون رواني ؟

كلا .. فما أخلاقها مضمونة ... ولو أنها جذبت بحلو لسانِ
إن الحضارة لا تكون حضارة ... يبدوا بِناها ثابت الأركانِ
إلا على الدين الحنيف وعفة ... نبتت على الأخلاق والعرفانِ
لا خير في أمم يميت خلالها ... سعى الجميع لأصفر رنانِ
وإذا الدخيل تصرَّفت أفكاره ... يوماً بِشِعْبٍ فهو في تيهانِ
بل سوف يصبح لقمة لثعالب ... وفريسة العادي من الذؤبانِ (١)

وهذا . . وهذا ماذا ؟

ذلكم إعلان في الصحف السَّيارة : « مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر » .

ولماذا حسنة المظهر ؟

هل ستكتب على الورق بوجهها الوضَّاء ، أم بقامتها الهيفاء ، أم يريد سعادة المدير تكييفاً أُنثوياً داخل مكتبه ؟ . . ومكتب فخامته مغلق دائماً ، وربما الضوء الأحمر يُشير إلى من يريد الدخول عليه بأن فخامته مجتهد في التخطيط لينقذ الاقتصاد العالمي من الانهيا ر . .!!

وهذا نموذج مضحك مبك لمن اقتدينا بهم ، وتعبدنا في محرابهم . .

نشرت مجلة « حضارة الإسلام » في مجلدها الثاني تقول :

طلبت « جوزيبي » الطلاق من زوجها في شهر العسل ، ووقفت تبكي أمام القاضي وهي تروي له قصتها :

قالت : « لقد احتفلنا بزواجنا في الأسبوع الماضي ، وقررنا أن نمضي شهر العسل على شاطئ البحر ، ولكني صُدمت في اليوم التالي ، عندما وجدت فتاة شقراء جميلة تشاركنا في شهر العسل ، لقد قال لي زوجي : إنها سكرتيرته الخاصة ، وأنه لا يستطيع أن يستغنى عنها لحظة واحدة . . .

---

(١) انظر المضيفات والمرضات في الشعر المعاصر - لعبد الرحمن المعمر .

ولم يكن ممكناً أن أحتمل وجود امرأة أُخرى وهي تجلس أمام زوجي «بالمايوه» لُيملي عليها خطاباته ، ويمضي معها نصف شهر عسلي أنا . .

وطلب القاضي من الزوج أن يختار بين الزوجة والسكرتيرة . .فخرج وهو يتأبط ذراع سكرتيرته » !!

مهازل ومآس تجل عن الحصر ، واستغلال وقح لأنوثة المرأة . . وللأسف الذي يعتصر القلوب المؤمنة حسرة وأسى ، أن دعاة تحلل المرأة من قواد الفساد قد نجحوا في إقناعها داخل ديار الإسلام بمفاهيم مزيفة حتى بات دورها في المجتمع لا يتعدى لحماً طرياً معروضاً ليحط عليه الذباب ، وجسداً شهياً مبرقشاً لا يصلح إلا متعة فراش .

ونسيت المرأة وتناست تكريم الإسلام لها ، والذي ألمعنا إلى جانب منه في الصفحات السابقة . .

نسيت أنه جعل منها إنسانة لها من الحقوق الأساسية في المجتمع مثل ما للرجل تماماً ، غير أنه نأى بها عن مواطن الشبهات ، وعما لا يمكن أن يحتمله تكوينا الرقيق . .

نسيت أن الإسلام لم يجعل منها كماً مهملاً في المجتمع المسلم ، بل جعل لها دوراً إيجابياً فعّالاً في حركة هذا المجتمع .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام تُجير على المسلمين ، فيُجيرون من تُجير إعزازاً لها واعترافاً بمكانتها السامية في المجتمع الإسلامي النظيف : أجارت

---

(١) التوبة : ٧١ ، ٧٢ .

أم هانئ بنت أبي طالب رجلاً من المشركين يوم الفتح ، وأراد عليٌّ قتله ، فأتت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فقال لها : « قد أجرنا من أجَرْتِ وأمَّنا من أمَّنت »[١] .

نسيت أنه كرَّمها طفلة صغيرة ، فقال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يؤثر ولده عليها ، أدخله الله الجنة »[٢] .

وقال : « من ابْتُلِيَ من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كُنَّ له ستراً من النار »[٣] .

وقال : « لا يكون لأحدكم ثلاث بنات - أو ثلاث أخوات - فيحسن إليهن إلا دخل الجنة »[٤] .

وكرَّمها زوجة فقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٥] .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »[٦] .

وكرَّمها أماً . . فبعد أن وصَّى الله تعالى بالوالدين معاً تحدَّثَ عما تُكابده الأُم وتُعانيه من مشقات عظيمة ، مبالغة في التوصية بها فقال :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً ﴾[٧] .

وعن معاوية بن جاهمة رضي الله عنهما ، أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله ، أردت أن أغزو ، وقد جئت أستشيرك ، فقال : « هل لك من أم»؟ قال : نعم ، قال : « فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها »[٨]

---

(١) حديث شريف .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) من حديث رواه البخاري ومسلم.
(٤) أخرجه الترمذي .
(٥) النساء : ١٩ .
(٦) رواه ابن ماجه .
(٧) الأحقاف : ١٥ .
(٨) أخرجه النسائي .

وكرّمها رَحماً فقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله، إني أصبت ذنباً عظيماً ، فهل لي من توبة ؟ فقال : « هل لك من أُم » ؟ قال : لا ، قال : « فهل لك من خالة » قال : نعم ، قال : «فبرها» (٢) .

وكرّمها في الدنيا والآخرة ، وجعلها في الجنة أفضل من الحور العين . . سألت أُم سلمة رسول الله ﷺ : يارسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظهارة على البطانة » ، قالت : يارسول الله ، وبِمَ ذلك ؟ قال : «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل . . ألبس الله وُجوههن النور ، وأجسادهن الحرير . . بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحُلَى . . مجامرهن (٣) الدُّر ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً . . ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً . . ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً . . ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً . . طُوبى لمن كنا له وكان لنا . . » (٤) .

هذا بعض تكريم الله فأروني بِمَ كرّمتها المجتمعات « التحررية » ؟

جعلتها « ساعية بريد » - إي والله لا أمزح - ساعية بريد تصعد إلى الشقق لتطرق الأبواب ، وتستفسر عن الأسماء . . وسقطت التجربة . . تجربة مدرسة البريد التي تتخرج فيها موزعات البريد ، واستمعوا إليهن وهن يتحدثن إلى صحيفة الأخبار التي نشرت عوامل إخفاق التجربة وسقوطها . . .

وسأحتفظ بالأسماء متأدباً بأدب القرآن الكريم (٥) .

---

(١) النساء : ١ .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) المجامر مفردها : مجمر وهو مايوضع فيه الجمر مع البخور . (٤) من حديث رواه الطبراني

(٥) لم يصرح القرآن باسم امرأة قط إلا مريم ، وذلك لينفي عنها ما اتهمت به ظلماً وزوراً وليُثبت نبوة عيسى عليه السلام .

تقول « فلانة » المتخرجة في مدرسة البريد والتي عملت لمدة ستة شهور فقط والآن تعمل كفرازة داخل مكتب البريد ، تقول : لم أحتمل هذه المهنة أكثر من ستة أشهر نظراً لما واجهته من مضايقات سخيفة في أثناء السير وتوصيلي للجوابات .

فمثلا مرة وأنا في طريقي إلى العمل ، واجهنا مجموعة من الشباب حاولوا جذب حقيبة المراسلات من يدي علاوة على الألفاظ التي أسمعها : « ياواد ياجميل يابتاع البوستة » و « بوستة بوستة ، مفيش حاجة من أجلي ياجميل ».

أما « فلانة » فتقول : لقد تعرضت لمضايقات جعلتني أترك العمل فوراً . . ففي أثناء تأدية عملي . . كان عليّ أن أوصل جواباً إلى صاحبه ، لأنه جواب مسجل . . ويجب أن يُوقع عليه ، فهاجمني صاحب الجواب ، وخطف مني حقيبة المراسلات . . وطلب مني أن أدخل شقته . . ولم أجد إلا الصراخ أمامي لإنقاذي . . لأنني لو عدت الى مكتب البريد بلا حقيبة المراسلات سيتسبب ذلك في فصلي من العمل ، وإذا حاولت أن أجذبها من هذا الوقح الذي هاجمني سوف أتعرض لمخاطر أكثر . . وجاء بوّاب العمارة على صراخي وأنقذني بأعجوبة وعدت باكية إلى عملي . . . !!

هذا غيض من فيض من تكريم المرأة في مجتمعاتنا « التقدمية » . . وهو لا يحتاج الى تعليق . .

وفي الوقت الذي كرّم فيه الإسلام المرأة . . حَذّرَ كل التحذير من استغلال أنوثتها ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ في الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنْتُمْ لاَتَعْلَمُونَ﴾[1] .

وحذّرها هي أيضاً أن تجعل من جسدها معْوَل هدم يُورد المجتمع موارد الشقاء

---

(١) النـــــور : ١٩ .

فقال ﷺ : « مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها »[1] .

وقال أيضاً : «أيُّما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية »[2] .

وقال أيضاً : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليُوجد من مسيرة كذا وكذا »[3] .

وفي نهاية الحديث عن التبرج ، أقدِّم لفتياتنا هذا النموذج الرفيع للمرأة المسلمة في صدر الإسلام :

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ - يقال لها أم خلاد - وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول ، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ فقالت : إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي . فقالَ لها النبي ﷺ : « ابنك له أجر شهيدين » قالت : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : « لأنه قتله أهل الكتاب »[4] .

أرأيتن هذا الإيمان الراسخ الشامخ . . إن قتل ابنها لم يُعصف بعواطفها ، ولم يُطر عقلها ، ولم يُفقدها صوابها ، فذهبت إلى رسول الله ﷺ رابطة الجأش، ثابتة القلب ، محتشمة الملبس ، لتسأله عن ابنها الشهيد ، فيتعجب أحد جلساء النبي ﷺ من قوة إيمانها وثبات جَنانها ، فيقول لها : جئت تسألين عن ابنك وأنت ملتزمة أقصى حدود الاحتشام ؟ . فترد عليه بكلمة مُشَرقة بمعاني الإيمان العميق ، والتسليم المطلق لقضاء الله رب العالمين : إن أزرأ إبني فلن أرزأ حيائي - إن كنت قد أُصبت في ابني فلن أُصاب في حيائي .

إن أُمة محمد ﷺ لتفخر بأن يكون من بين نسائها أمثال « أُم خلاد » !

* * *

(١) أخرجه الترمذي .
(٢) رواه النسائي وأبو داود والترمذي .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه أبو داود .

فتنة الاختلاط

لا نتصور أن الفعلة الشنعاء بين رجل وامرأة ، يمكن أن تتم من أول وهلة . . بل تسبقها مقدمات ، وإعداد واستعداد . . نظرة من هنا ، فابتسامة من هناك.. فسلام . . فكلام . . فموعد . . فلقاء . . ففضيحة ذات أجراس . .

وكذلك دعاة الإلحاد والتحلُّل ، فإنهم لا يسرقون الفضيلة من المجتمعات عنوة، ولكنهم ينتهجون سياسة الخطوة خطوة ، كاللِّص الذي يحسب مواقع أقدامه حتى لا ينتبه له أحد . .

فهم اليوم يدعون إلى تعليم المرأة ، فإذا تَمَّ ذلك ، فدعوة الى السفور ، فإذا تَمَّ ذلك ، فدعوة إلى اختلاط الجنسين ، فإذا تَمَّ ذلك ، فدعوة إلى زواج التجربة، فإذا تَمَّ ذلك فدعوة إلى إباحة الجنس ، ثم مَلَلٌ من الجنس مع المرأة ، فليكن التغيير بإباحة الشذوذ الجنسي . . وهكذا إلى أن تنتقض عُرَى الأخلاق عُروة عُروة حتى يصل المجتمع إلى الهاوية . .

وعبيد الغرب عندنا في ديار الإسلام ، قد نجحوا في هذا المضمار نجاحاً لا نظير له ، وشايعهم على ذلك الحُكّام الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ومن العمل الصالح إلا تمثيليات يجيدون حبكها أمام الجماهير في المناسبات ذراً للرماد في العيون .

نادوا بالاختلاط وقالوا : إنه ضرورة نفسية واجتماعية ، وبالاختلاط تختفي العُقَد ، ويتلاشى الشعور بالخجل في وجود الجنس الآخر . . والاختلاط يؤدي إلى الإشباع العاطفي . . والاختلاط يُعَلِّم الذوق في حضور الجنس الآخر . . إلى آخر الأوهام التي تُعشش في أدمغة النوابغ من عباقرة أُمتنا .

وكان الاختلاط ، وطُبِّقَ على طول البلاد الإسلامية وعرضها ما عدا القلة القليلة . . ونظرنا إلى الاختلاط الذى سيحقق هذه المعاني ، فإذا هو نار في

الهشيم تحرق . . نار وقودها الأجيال المسلمة تعيسة الحظ . . وسأعرض عينة .. وعينة مخففة من هذا الاختلاط (البرئ) :

في جريدة الأخبار ، وتحت عنوان « حديث عن الحب » أُرسلت هذه الخطابات تطلب من محررة زاوية « الجنس الآخر » حلاً لها . . تقول المحررة :

« وقعت خطابها باسمها الكامل ، ولكنها طلبت الإشارة الى الاسم بالحروف الأولى فقط وهي « أ . أ . أ . » بسبب الموضوع الشائك الذي طلبت عرضه ومناقشته ، ولا شك أنه يُعتبر شائكاً بالنسبة لطالبة جامعية في سنها الصغير ، لأنه يدور حول الحب في الجامعات بين الزملاء والزميلات . . وهذا ملخص الخطاب :

« إن المشكلة التي أود عرضها هي مشكلة الحب داخل الحرم الجامعي ، وإلى أي مدى يعتبر صحيحاً أو صالحاً لأن يكون بداية لمشوار الحياة ورحلة العمر . .

هل يمكن أن يفتح زميل وزميلة قلبيهما للحب أثناء الدراسة ، فيعيشا أربع سنوات مع الأحلام الحلوة ، والآمال العريضة ، لبناء بيت زوجية سعيد ؟ .. واذا حدث وتقدم للفتاة بعد ذلك عريس لُقطة - على حد قول الناس - هل تحاول أن تنسى حبها الأول ، وتُفَضِّلُ على زميلها ذلك العريس المستعد لدفع المهر وكَتَب الكِتَاب ، أم تظل متمسكة بحبها القديم ؟

هل كل قصص الحب التي نسمع عنها في الجامعة مجرد أحلام يمر بها الشباب في هذه المرحلة ، لعلها تعتبر من ضروريات هذه المرحلة ؟ وما هو فارق السن المعقول بين الشاب والفتاة ؟ إنني شخصيا - والكلام لا يزال للطالبة الجامعية « أ . أ . أ . » - لا أشجع الحب في الجامعة ، ولا أحاول الارتباط بأي زميل . لقد باح لي أحد الزملاء بحبه ورغم أنه يمتاز بعقلية ممتازة ، وذكاء كبير ، فقد أخبرته أن شعوري نحوه لا يتعدى الزمالة والأُخوة . . لقد رفضت أن أبادله الحب والأحلام لمجرد أنني لا أؤمن بالحب في فترة الدراسة . إن مشكلتي تواجه كثيرين من الزملاء والزميلات ، ونريد مناقشتها . . . » .

تقول المحررة : وتلقيت خطاباً من طالب لا يزال في سنته الأولى في الجامعة ، والخطاب مكوّن من (ثماني صفحات) يقول فيه : إنه وقع في غرام زميلته الجميلة الأنيقة جداً ، وأن حبـــه منعه من الأكل والنـوم والاســـتذكار ، وأنه لا يستطيع أن يبوح لها بحبه ، لأنها لا تعرفه ولا تشعر بوجوده ، ولذلك يفكر في الانتحار ! !

وخطاب من طالبة تقول فيه : إنها وقعت في غرام أستاذها ، وأنها تنتظر محاضراته بفارغ الصبـر ، ولكنها لا تفهم شيئاً ، وأنها تعلم أنه متزوج ولكن لا تستطيع أن تنساه ، وأنها أقسمت أن تظل مخلصة له طول الحياة [1] .

وإلى محررة الزاوية نفسها أرسلت فتاة تبحث عن حل لمشكلتها . . فكتبت تقول لها : أنا في بداية دراستي الجامعية ، وفي الثامنة عشرة ، وعلى جانب كبير من الجمال والأناقة والذكاء - تصف نفسها . .

تقول : وقعتُ في غرام مُعيد شاب في كُليتي ، التقيت به في مدرج الجامعة في فصل غير فصلي . . تقول : وكأنني بفتى أحلامي يقف أمامي . . بهرني كل شئ فيه : شعره الغزير . . قوامه الممشوق . . بسمته الفاتنة . . عيونه الساحرة . . صوته الرخيم . . حتى جلسته ووقفته ، وطريقة إلقائه المحاضرة . . طيرٌ عقلها . . وهي من ساعة أن رأته تحلم ، وتُفكر ، وتسرح ، وتسأل : كيف أستطيع الوصول إليه ؟ كيف أُبَلِّغُهُ إعجابي به ؟ هل أكتب إليه خطاباً ، أوأرسل إليه زميلة أو زميلاً يشرح له حبي ؟

هذا هو الاختلاط « البريئ » الذي يُخَفِّف ضغط الغريزة ، ويُؤدي إلى الري العاطفي ! !

هذا هو الاختلاط « البريئ » الذي يُبَدِّد الطاقات ، ويقتل المَلَكات ، ويسبب العُقَد ، ويُصيب بالخيبة والإحباط كل فتى وفتاة ! !

---

(١) الأخبار في ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ .

فتاة تبدو متماسكة ، وزميلها يُفضي إليها بحبه ، وفتى معجب من بعيد ، ومحب من طرف واحد ، وتُحَدِّثه نفسه بالانتحار ، وثالثة ، تحب أستاذها المتزوج وتُقسم أن تظل مخلصة له مدى الحياة . . ورابعة أسرها قدّه المشوق وقامته الهيفاء وطلعته البهية . . ولو كانت تُخفي وراءها طِباعاً سافلة . .

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائقُ

اختلاط « برئ » . . وطوفان رهيب من الأزيـــاء و « المـودات » تَغُصُّ به « صالات » الجامعات : أقصد قاعات الجامعات المختلطة .

أين الفطرة التي فَطَرَ اللّهُ الخَلق عليها من تجاذب بين الجنسين . . ؟ أهي في غيبوبة ؟

أين وَقدة الجنس ، التي تلتاع بين جوانح هذا الشاب المسكين . . ؟ أهي في إجازة ؟

أين الخلفيات التي يعرفها الجنسان عن الحب ، والتي شحنتها وسائل الدمار من أُغنية في الحب إلى مسلسلة في الحب إلى فيلم في الحب إلى قصة عن الحب إلى . . . ؟ ألا يحن الجنسان إلى تجربة ؟ ما لكم كيف تفهمون . . ؟

هل رأيت الأمان في مكان به أعواد الثقاب المشتعلة بجوار براميل البارود ؟

هل رأيت إنساناً يغرق في البحر ثم لا يبتل ؟

هل رأيت إنساناً يُلقى في جهنم ثم لا يحترق ؟ . . نعم جهنم . . جهنم الأزياء ، والأصباغ ، والمساحيق ، والألوان الفاقعة ، والبشرة اللامعة ، والجمال الفاضح ، والفتنة التي يحركها الشيطان !![1] . .

هذه الأسئلة سيُجيب عنها دعاة الاختلاط بـــ : نعم ، لأنهم يفكرون بلغة أجهزتهم السفلية الحيوانية ، لا الأجهزة العلوية الإنسانية في رؤوسهم .

---

(١) والشباب مكلّف شرعاً بتجنب هذه الفتن كحد أدنى إذا لم يستطع التغيير .

تقول الكاتبة الشهيرة « اللادي كوك » بجريدة ألايكو :

« إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهنا البلاء العظيم على المرأة ، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء ، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد ، بل الموت أيضا . . أما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودُواره من موانع الكسب الذي تُحَصِّل به قوتها ، وأما العناء فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها ؟

وأما الذُّل والعار ، فأي عار بعد ؟ وأما الموت فكثيراً ما تبخع المرأة نفسها بالانتحار وغيره .

هذا الرجل لا يُلِمُّ به شئ من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسئولة وعليها التبعة مع أن عوامل الاختلاط كانت من الرجل . .

أما آن لنا أن نبحث عما يُخفف - إن لم نقل عما يُزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضى تصديق ما يُوسوس به الرجل من الوعود ويُمنِّي به من الأماني ، حتى إذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم.

يأيها الوالدان : لا يغرنكما بعض دُريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ، ومصيرهن إلى ما ذكرنا . علِّموهن الابتعاد عن الرجال ، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد ، لقد دلَّنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . . ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت ، وكثير من السيدات المعرضات للأنظار ؟ ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن ، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان ، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا

لا يقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة ، أي عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم . . وهذا غاية الهبوط بالمدنية . .

فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم ، والذي علقت منه لا ينظر إلى أولئك الأطفال ولا يتعهدهم بشيء ، ويلاه من هذه الحالة التعسة .. تُرى من كان معيناً لها في الوحم ودواره ، والحمل وأثقاله ، والوضع وآلامه ، والفصال ومرارته » ؟ [1] .

هذا في الغرب . .. أما عندنا فمن أراد أن يطلع على وجه الاختلاط القبيح ، فليقرأ كتاب « المرأة والصراع النفسي » [2] ، ليجد إحصاءات مخجلة عن الممارسات الجنسية المحرّمة ، والتي أخجل من تسطيرها على هذه الصفحات ، وليعلم الجميع كيف يعمل سرطان الاختلاط في جسد الأمة الإسلامية وفي ظل عقول النوابغ والمفكرين ، من عباقرة أمتنا .. وإنا لله وإنا إليه راجعون . .

* * *

إن هذا الاختلاط المروِّع ، قد هبط بالمرأة في نظر الرجل من سمائها العالية إلى أرضها السافلة المخضبة بالأوحال . . اختفى الحب الروحي وبرز الحب الجنسي . . اختفى الإلهام . . اختفى الإبداع . . اختفى الحلم الجميل لخيال المرأة الساحرة الفاتنة . .

وزادني كَلَفاً في الحبِ أنْ مَنَعَتْ أحبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعَا

يقول الأوائل : « كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حَوْلاً يفرح أن يرى من يراها ، فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار . واليوم يشير إليها وتشير إليه فيعدها وتعده ، فإذا إلتقيا لم يشك حباً ، ولم ينشد شعراً و . ....» .

---

(١) حقوق النساء في الإسلام - لمحمد رشيد رضا ص ٧٧ ، ٧٨. (٢) للدكتورة نوال السعداوي .

ولقد كان الشاعر العربي يُصَوِّر المرأة تصويراً يُنبئ عن مدى مكانتها في نفسه . . يقول الشاعر :

حُبَيْشٌ أجمل أمْ ظبي برابيةٍ لا ، بل حُبَيْشَةُ مِنْ دُرٍّ ومِنْ ذَهَبِ

ولقد تحوّل هذا الدُّر والذهب إلى تراب وطين وماء . . تحلّل إلى عناصره الأولية ، وصارت المرأة لعبة الرجل . . بضع عبارات محفوظة ، ولبس القناع الزائف ، وحبك تمثيلية الحب ... ثم تَخِرُ ليلى تحت أقدام قيس . .

إن من أروع ما نقرأه في شعر الغزل العربي هو هذا الإلهام ، وذلك الإبداع الذي أوحى به خيال المرأة المتمنعة . . المرأة المصونة . . المرأة التي لم تكن كلأً لكل راتع . .

يقول قيس :

فما طلع النجم الذي يُهتدي به ولا الصبح إلا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا سُهيل لأهل الشام إلا بدا ليا
ولا سُميت عندي لها من سمية من الناس إلا بَلَّ دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها من الليل إلا بتُّ للريح حانيا
فياليل كم من حاجة لي مهمة إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان جهد الظن ألاَّ تلاقيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشتُ دهراً لا أعد الليالیا
وأخرج من بين البيوت لعلّني أُحَدِّثُ عنكِ النفسَ ياليل خاليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها وأشبهه أو كان منه مدانيا
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
وأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشي وإن شئتِ بعد الله أنعمت باليا

وإني لأستغشي وما بي نعسة ... لعلَّ خيالاً منكِ يلقي خياليا
هي السحر إلا أن للسحر رَقيَةً ... وإني لا ألقي لسحري راقيا
ذكت نار شوقي فؤادي فأصبحت ... لها وهج مستضرم في فؤاديا
ألا ليت شعري ما لليلى وما لي ... وما للصبا من بعد شيب عَلانيا
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى ... إلى من تشيها أو بمن جئت واشيا ؟
إذا نحن رمنا هجرها ضم حبها ... ضميم الحشا ضم الجناح الخوافيا
لئن ظعن الأحباب ياأم مالك ... لما ظعن الحب الذي في فؤاديا

إلى أن قال :

علي مثل ليلى يقتل المرء نفسه ... وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليليَ إن ضنوا بليلى فقربا ... ليَ النعش والأكفان واستغفرا ليا [1]

ونعتقد أنه لو كان قيس بنّ المُلوَح يعيش معنا في هذا العصر لماتت هذه المعاني في قلبه ولم تر النور . .

انطفأ هذا الإلهام ، وذوي ذلك الإبداع ، واستيقظنا من الحلم الجميل على المرأة بين أيدينا ملء السمع والبصر ، قريبة منا في الشارع والمدرسة والنادي والمكتب والجامعة والحافلة (الأتوبيس) مُشَمِرة عن سيقانها ، حاسرة عن شعرها ، عارضة جمالها مجاناً . . وكأنها بهذا تُلح على الرجل قائلة له : « حيوان للجنس » وصار غاية الهامها للرجل أن يقول لها : شعرُكِ الذهبي ، وخدُكِ الوردي . . وصار يُعَبِّر عن هذا الإسفاف شعراء الخدود والنهود والجوارب والأحذية . . والمتهم الأول والأخير في قتل هذا الحب هو المرأة التي استجابت لأصحاب الأفكار الساقطة ، والتي عرضت نفسها على الرجل عرضاً غير كريم . . !!

* * *

(١) أبيات مختارة من قصيدة لقيس بن المُلوَح مجنون بني عامر .